عظمة بابل و كنيستها المختارة

الأب المرحوم د. يوسف حبي

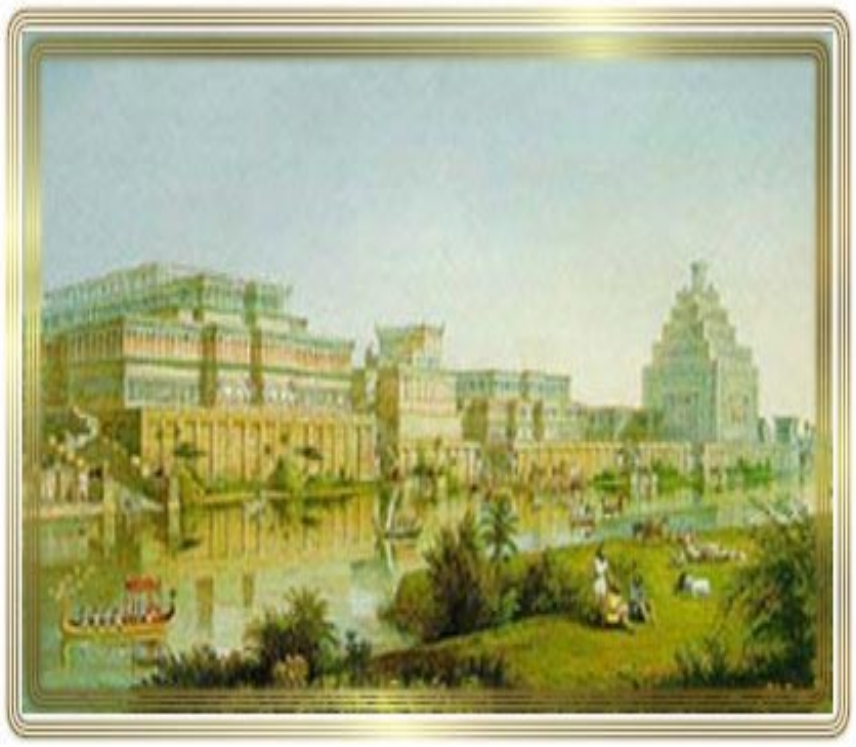

كنت اتشكك، و معي كل العراقيين، حين ارى اللعنات و الويلات مرسومة في اسفار العهد القديم، تسوّد وجها من المع و أبهى الأوجه الحضارية لبلادنا، فأتسائل: أحقا هكذا كانت بابل العظيمة؟ فان الاسفار تلك تعترف بعظمتها و تقرَ بتميزها عن سائر البلدان و الأمم فلماذا إذن الطعن بها؟ أهو من باب التعصب و الحسد و التطرف؟ يقول النقد العلمي، ان أي كاتب إذ يبغي تأكيد قضية ما، يلجأ الى أمثلة معبرة. و هذه هي الحال بالنسبة لبابل، كما لنينوى و مصر ... فان عظمة هذه الأماكن و البلاد تجعلها موضوع إهتمام، ولأن المدن الكبرى و المترفهة تكثر فيها المنجزات و تعج فيها الوقائع الغريبة بل الجرائم و الفضائع أيضا، كانت بابل، كغيرها من محطات عظيمة، هدفا كبيرا لبو ما.

إستهدفها و آذاها إذ سلطت الأضواء على السلبيات وحدها، كما حصل لبغداد في عهدها الحضاري الذهبي أيام العباسيين.

لكني، و هذا هو الأكتشاف المستنير، قرأت في رسالة بطرس الأولى، أن بابل هي كنيسة و انها مختارة من قبل الرب كسائر اختياراته الالهية (فصل 5، آية 17) يقول البعض أن بابل هنا هي كنيسة روما، و أقول أن بابل هنا هي رمز، فكما ان الويلات و الوصمات الموجهة الى بابل لا يراد بها بالمعنى المادي الحرفي للتأريخ، هكذا هي بابل رسالة بطرس، انها تشير الى الآختيار الالهي لكل منا، افرادا و مجاميع، شعوبا و أقواما و بلادا، عالما و بشرية، و إن استعمال بابل لهذا الخيار دليل آخر على عظمتها، و هي تستحق حقا كل هذا، انها بابل حمورابي و نبوخذ نصر و عشتار، فلنغنَ بذكراها مدى الأيام و الأعوام انه مشروع كتاب آمل أن أوفق في إخراجه للناس

كنيسة كلدانية واحدة أم كنائس كلدانية !

رأي في محاولة تغيير الطقس الكلداني و لغته

عمانوئيل موسى شكوانا

(نقلا عن مجلة "برقالا د بابل" لنادي بابل الكلداني – بغداد)

منذ بضع سنوات، و محاولات كثيرة تتم لتغيير طقس كنيستنا المشرقية العريقة – الشق الكلداني منها- و خاصة لغة الطقس و تحويلها الى اللغة العربية في المدن و الى السورث في بعض القرى والأنكليزية في المهجر إضافة الى تغييرات أخرى في طقس القداس، و بحجج مختلفة.

وحيث أن هذا الموضوع يتعلق بمستقبل كنيستنا العريقة و بحياة ابنائها فليس من حق أحد أي كان، أن يفرض تغييرا يرتأيه هو، فان جميع أعضاء الكنيسة لهم الحق بابداء آرائهم، ومن واجب الؤساء الاستماع لهم. لذا أطرح رأيي هذا آملا أن يكون فاتحة مناقشة هادفة نتوصل خلالها الى افضل الصيغ لمسار كنيستنا.

إن حجة القائمين و القائلين بهذه التغييرات، تنطلق من فكرة انه من الضروري ان يفهم المؤمن الكلام الذي يردد أثناء اجراء الطقوس الدينية ليتعزز ايمانه و هذه مقولة فيها من الوجاهة الشئ الكثير.

ولكني أرى ان ذلك سوف يؤدي بالنهاية الى القضاء على ما تبقى من كنيسة المشرق و ذلك بضرب و تحطيم عمودها الفقري الذي هو طقسها و لغته الارامية (السريانية) العريقة.

كما اني ارى ان المحافظة على الطقوس و لغتها شرط اساس لبقاء كنيسة المشرق و انتعاشها سواء في بلدها الأم العراق، أم في امتداداتها خارجه، وان ذلك لا يتعارض مطلقا مع الحفاظ على الايمان و فهمه، للاسباب التالية:

1- يتناسى القائلون بالتغيير أهمية الموروث و خاصة الطقسي منه على شعور الانسان وسلوكه ومعتقداته، وان المهتمين بالدراسات القديمة وعادات الشعوب ومعتقداتها، يعتمدون الطقوس أساسا في دراساتهم. وذلك لانها لا تستجيب للتغيير بسهولة، والامثلة على ذلك كثيرة. منها طقوس الدانتين الصابئية واليزيدية، فالاولى لا يفهم معظم أبنائها لغة طقوسهم بما فيها رجال الدين، ومع ذلك فهم مستمرون على اداء طقوسهم وبصيغتها الموروثة، وبلغتها الأرامية السريانية ذاتها دون أي تغيير. اما اليزيدية، فبسبب المحن والأضطهادات الشرسة التي تعرضت لها خلال قرون طويلة، لم يبقى لدى أبنائها كتب مقدسة ولكن الطقوس هي التي حفظت ايمانهم وتعلقهم بدينهم.

2- إن القداس الكلداني- وهو الطقس المعرض للتغيير- ومنذ عقود طويلة من السنين، تتلى فيه الصلوات الايمانية بلغة يفهمها المؤمنون، منها وهو الاهم قانون الايمان، الذي يمثل خلاصة الايمان المسيحي. كل مذهب حسب اعتقاده. وكذلك الصلاة الربية و السلام المريمي.

3- نعلم جيدا كيف أن قرونا و قرونا مرت على طقوس كنيستنا منذ نشأتها و حتى اليوم و بلغتها العريقة الجميلة، رددتها خلال عمرها الطويل هذا حناجر شعوب و أمم كثيرة و متعددة منها الصينيون و المغول و الأتراك و الفرس و الهنود و العرب و غيرهم. كلهم رددوا طقس كنيستهم المشرقية و بلغتها الارامية السريانية، و استوعبوا الايمان و فهموه و نشروه فكيف تأتي لهم ذلك ان كان ما يردده اليوم القائلون بالتغيير صحيحا.

4- نحن نذكر جيدا كيف كانت كنائس الموصل – التي يتكلم مسيحيوها العربية – تردد صلوات طقسنا العريق بلغته الجميلة و كان شمامسة الموصل و حتى وقت قريب – خمسينيات و ستينيات هذا القرن (العشرين) – قمة في اداء هذه الطقوس، و من اشد المدافعين عنها و عن سلامة أدائها. فماذا جرى اليوم ليصبحوا غير قادرين على فهمها و أدائها؟

5- ثم ألا نجد أمامنا مثلا ساطعا على ديانات أخرى اقتصرت كتبها المقدسة على اللغة الأم و الفصحى منها فقط، ومع ذلك تبنتها الملايين و الملايين من أبناء مختلف الشعوب و الأمم الذين لا يفهمون لغة دينهم و مع ذلك فهم من أشد المدافعين عنها و عن طقوسها. فلماذا لا ينطبق ذلك على كنيستنا و طقوسها؟

6- الا ترون معي ان الموضوع ليس موضوع فهم المؤمن لما يجري من طقوس، بل أن الموضوع أكبر و أخطر، فان كنيستنا و لغتنا هما المستهدفان و ليس شيئا آخر.

إن ما يجري اليوم من اختلاف أداء الطقوس في كنائسنا الكلدانية سيؤدي و في القريب العاجل، الى أن تتشرذم هذه الكنيسة الى كنائس عدة حسب اجتهاد كهنة و شمامسة كل منها، بحيث يصعب على شمامسة كنيسة من أداء الطقوس و الصلوات في كنيسة أخرى، و هذا سيعمق الهوة بين الكنائس لتحل القطيعة بينها و لتفقد جميعها هويتها بعد أن فقدت لغتها.
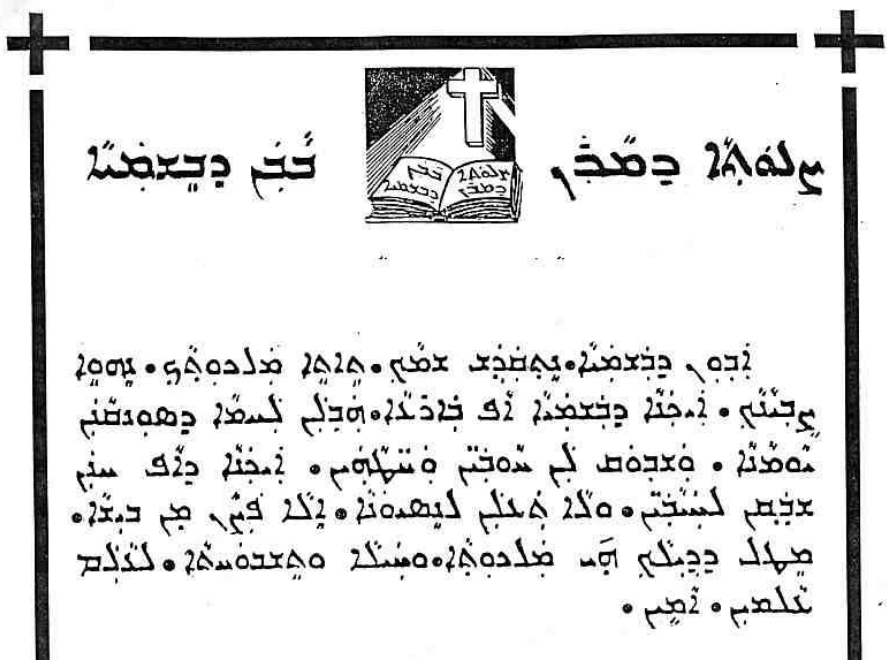
إذن ألم يحن الوقت للوقوف بشدة ضد هذه المحاولات.